مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 15 / العـدد 02 / سبتمبر2021 / ص ص 384 - 393
Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

البكالوريا في المجتمع الجزائري: تمثلات وممارسات

The baccalaureate in Algerian society: representations and practices

هند بوعقادة
مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (الجزائر) ، h.bouagada@crasc.dz

تاريخ الاستلام: 2021/06/01 تاريخ القبول: 2021/06/17 تاريخ النشر: 2021/09/30

ملخص:
يعرض هذا المقال نتائج دراسة ميدانية هدفت إلى التعرف على تمثلات البكالوريا في المجتمع الجزائري والممارسات المتشكّلة حولها من خلال خطابات من عايشوا تجربتها حديثا، اعتمادا على المنهج الكيفي والمتمثل في إجراء مقابلات مع مجموعة قوامها عشرون (20) من الطلبة الجدد في جامعات وهران. توصلنا من خلالها أنّ البكالوريا ليست حدثا دراسيا فقط وإنّما تحمل دلالة رمزية نفسية واجتماعية حيث تتبلور حولها مجموعة من الممارسات والخطابات التي تبرز أهمية هذا الحدث بالنسبة للفرد والعائلة. وذلك من خلال الاستثمار المادي والمعنوي الذي يقدمونه من أجل تعزيز فرص النجاح باعتبار الشهادة تمنح فرصة الانتقال إلى مكانة جديدة والحصول على القيمة والاعتراف وفتح آفاق المستقبل الدراسي والمهني. فأهمية هذا الامتحان ترتبط بالمكاسب النفسية والاجتماعية التي تقدمها الشهادة.
كلمات مفتاحية: بكالوريا، التمثلات، الاستراتيجيات، الممارسات، التضامن العائلي، العادات والتقاليد، الطقوس، طقس مرور.

ABSTRACT:
This article presents the results of a field study aimed at identifying the representations of the baccalaureate in Algerian society and the practices formed around it through speeches of those who have recently lived its experience, based on the qualitative method of interviewing a group of twenty new students at the universities of Oran. Through it, we concluded that the baccalaureate is not only an academic event, but rather has a psychological and social symbolic significance, as a group of practices and discourses crystallize around it that highlight the importance of this event for the individual and the family. And that is through the material and moral investment they make in order to enhance the chances of success, as the certificate gives the opportunity to move to a new position, obtain value, recognition and open academic and professional future horizons. The importance of this exam is linked to the psychological and social gains that the certificate provides.
Keywords: Baccalaureate, representations, strategies, practices, family solidarity, customs and traditions, rites, rite of passage.

- المؤلف المرسل: هند بوعقادة

ISSN: 1112 - 6752 | رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006 | EISSN: 2602 - 6090

1- مقدمة:

البكالوريا ليست وليدة العصر الحديث وإنمّا ظهرت منذ حوالي قرنين من الزمن حيث تمّ إحداثها في فرنسا بموجب قرار إمبراطوري من طرف نابليون بونابارت (Napolion.B) أين كانت تُصنف ضمن الشهادات الجامعية، أمّا البكالوريا بمفهومها الحديث باعتبارها شهادة تتوّج المرحلة الثانوية ظهرت في سنة 1808 (Solaux, 2001, p. 09)

لفظة بكالوريا (Baccalauréat) هي من اللاتينية بكالورياتوس (Baccalaureatus) وهي مشتقة من بكالاريوس (Baccalarius)، كانت تطلق على المبتدئ في الفروسية (Danvers, 2009, p. 64) وهي الشهادة التي تحدد إنهاء الدراسة الثانوية، والتأهيل لبداية الدراسات العليا (Mialaret, 1979, p. 39). وتُعّرف في القاموس العربي على أنّها "شهادة يحصل عليها التلميذ بعد امتحانات تجرى عند نهاية الدروس الثانوية" (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، 2001، ص. 110).

تُطلق البكالوريا في الجزائر على شهادة اختتام التعليم الثانوي وذلك بعد النجاح في الامتحان الذي يُجرى في نهاية السنة الثالثة ثانوي .حيث تمّ إدراجها من طرف الاستعمار الفرنسي وكان عدد الحائزين عليها جد ضئيلا، حيث بلغ عدد الجزائريين المتحصلين على البكالوريا خلال الفترة من 1979-1880إلى غاية 1914- 1915ما قدره 80 مترشحا (Kadri, 2018, p. 07). ليتمّ إلغاء النظام الفرنسي وإحداث البكالوريا الجزائرية بموجب المرسوم 495-63 الذي صدر في ديسمبر 1963 (دليل النصوص التشريعية التنظيمية الخاصة بقطاع التربية الوطنية، 1964). وفي سنة 1964 بلغ عدد المتحصّلين على شهادة البكالوريا 1751 مترشحا (ONS, 2011, p. 134).

كان حاملو شهادة البكالوريا يتميّزون بمكانة راقية في المجتمع وفي سوق الشغل. إلاّ أنّ التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري وعلى المنظومة التربوية كان لها أثر على تلك المكانة التي كانت تحظى بها هذه الشهادة. حيث تزايد عدد المتحّصلون عليها إذ بلغ خلال السنة الدراسية 2017_2018 أكثر من 265000 مترشحا. ومع ذلك تشير هذه النسبة ونسب المعيدين الذين يُصرون على إعادة اجتياز الامتحان عدّة مرات على أهمية البكالوريا ضمن المسار الدراسي.

2- الاشكالية

تحظى البكالوريا بمكانة مهّمة وقيمة في المجتمع الجزائري. والمتّتبع للبكالوريا في الجزائر يُلاحظ الأهمية التي يحتلها هذا الامتحان بالنسبة لأفراد المجتمع وبالنسبة للسلطات وذلك من خلال البروتوكولات المرتبطة بالامتحان وتحضيراته. فإلى جانب التحظير الذي تشرف عليه المؤسسات الرسمية والمتمثلة في القطاع التربوي (الوزارة، الأساتذة، المدراء، المفتشون.....)، والأمن الوطني وكذا قطاع الإعلام والاتصال، والتي تسعى إلى تغطية هذا الحدث والحرص على مصداقيته وسيره في ظروف ملائمة، يُضاف دور العائلة في هذه المحطة الحاسمة في حياة الفرد من خلال أشكال المرافقة والمساندة التي تقدمها. إنّ مختلف هذه التحضيرات ذات الطابع الرسمي وغير الرسمي تحدث خلخلة في روتين المجتمع وأفراده وتشير إلى خصوصية هذا الحدث وأهميته.

أكّدت الدراسات التي أجريت حول البكالوريا في الجزائر هذه الأهمية، حيث توصلت بن غبريط رمعون نورية إلى أنّ البكالوريا تحتل مكانا مهّما لدى تلاميذ النهائي من خلال دراستها حول تمثلات تلاميذ الأقسام النهائية للمؤسسة التعليمية والاستراتيجيات التي يوظفونها في تسير وقت الدراسة داخل الثانوية وخارجها (Benghabrit Remaoun, 1998, p. 51).

كما أشار حداب مصطفى في دراسته إلى التفاعل والتفاوض بين السياسة التعليمية الخاضعة لإشراف موظفو التربية والتعليم باعتبارهم تابعيين للدولة وكذلك الدور الذي تلعبه الأسرة والمجموعات الاجتماعية حسب خصائصها ومميزاتها من أجل تكثيف فرص النجاح المدرسي والاجتماعي (حداب، 1998، ص. 05).

لذلك تسعى الدراسة الحالية إلى التعرف على معاش السنة التحضيرية للبكالوريا. من خلال خطابات ومواقف من عايشوا تجربة البكالوريا حديثا باعتبارهم العنصر الرئيسي ضمنها. من أجل تحديد الممارسات المرتبطة بالتحظير للامتحان والإستراتيجيات المتّبناة من طرف الممتحن والعائلة والتمثلات المتّشكلة حول هذا الحدث.

3- تساؤلات الدراسة:

- ماهي تمثلات البكالوريا بالنسبة لمن عايشوا تجربتها حديثا؟
- ما هي مواقف عائلات تلاميذ القسم النهائي من البكالوريا؟ وماهي الممارسات والاستراتيجيات التي يقومون بها للتحضير لهذا الحدث؟

4- فرضيات الدراسة:

- تعتبر البكالوريا حدثا اجتماعيا تتمحور حوله ممارسات وخطابات وتمثلات مرتبطة ببنية المجتمع وخصائص الأفراد وأهمية الحدث.
- تمثل البكالوريا حدثا محوريا في حياة الفرد والعائلة لما تُقدمه من مكاسب نفسية واجتماعية.

5- الإجراءات المنهجية المتّبعة في الدراسة:

نعتمد في الإجابة على تساؤلاتنا على المقابلات المنجزة في إطار التحقيق الميداني الذي أُجري من طرف فريق بحث قسم البحث "سوسيو أنثروبولوجيا التربية وأنظمة التكوين" لمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية حول " خطابات الطلبة حول البكالوريا في الجزائر: دراسة استطلاعية في جامعات وهران" خلال السنة الجامعية 2018-2019.

استخدمنا المنهج الكيفي وذلك من خلال القيام بمقابلات نصف موجهة مع مجموعة قوامها عشرون (20) من طلبة السنة أولى جامعي في جامعات وهران (كلية الطب، كلية العلوم الاجتماعية، كلية الهندسة المعمارية والمدنية) من الجنسين (12طالبة و09 طلبة) الذين تحصّلوا على شهادة البكالوريا في السنة التي سبقت التحقيق (دورة جوان 2018). استنادا على دليل للمقابلة يشمل مجموعة من الأسئلة حول معاش أولئك الطلبة أثناء السنة التحضيرية للامتحان ومواقف المحيطين بهم.

6- نتائج الدراسة:

كشفت مضامين المقابلات التي أجريت مع الطلبة الذين عايشوا تجربة البكالوريا حديثا عن أهميّة هذا الحدث ضمن معاشهم وعن دلالاته النفسية والاجتماعية:

6-1- تمثلات البكالوريا في المجتمع الجزائري:

أكّدت الدراسة أنّ البكالوريا تُعتبر حدث مُهم، تتمركز حولها مجموعة من التمثلات ترتبط بالمكانة التي تحتلها في المجتمع ولدى الأفراد. فهي تمثل بالنسبة للمبحوثين:

6-1-1- الحصول على الاستقلالية والإحساس بالكّبر:

تعتبر البكالوريا مرحلة انتقالية ينتقل من خلالها الفرد من مرحلة دراسية إلى مرحلة أخرى (من تلميذ في الطور الثانوي إلى طالب في التعليم العالي)، كما أنّها تتزامن مع فترة المراهقة ومع السن القانوني للرشد والمتمثل في 18 سنة والذي يتميز بمجموعة من الحقوق المدنية منها: الحق في الانتخاب، والحق في اجتياز رخصة السياقة، والحق في الزواج....الخ. في هذا السياق تُصّرح المبحوثة (هـ.ج):

" البكالوريا هي مرحلة في الحياة، امتحان أجتازه لأنتقل إلى الجامعة، أقوم بالأشياء التي أريدها، يصبح لدّي 18 سنة، أنظم إلى النوادي، يكون لي الوقت للقيام بأشياء أخرى ليس مثل الدراسة في الثانوية ندرس من الثامنة صباحا إلى الرابعة مساء"(18 سنة، سنة أولى هندسة معمارية).

فالبكالوريا تمنح حرية أكثر والإحساس بالكبر والنضج، والانتقال من المسار الدراسي المرتبط بالطفولة إلى مصاف الراشدين، وهذا الطرح يفسره التحليل النفسي للرسوب والنجاح الذي اقترحه السيد سي موسى حيث سجّل "أنّ نسبة مرتفعة من الشباب ضمن جماعة تُقدر بألف شخص تمّ فحصها خلال جلسات عديدة من العلاج النفسي تبدي استعدادات للرسوب إزّاء هذا الانتقال من الطفولة أو من سن الكهولة الذي يتزامن مع القسم النهائي وهذه الاستعدادات يمكن ربطها بالعوائق الاجتماعية النفسية الخاصة بالمجتمع الجزائري والتي تعني بالخصوص شروط تجاوز البنيات الطفولية والأوديبية. فالمترشحون للبكالوريا لا يخشون الرسوب ولكن يخشون عن غير وعي النجاح والمعاني التي يأخذها هذا النجاح في وسطهم" (حداب، 1998، ص. 10)

6-1-2- وسيلة لمواصلة الدراسة واختيار المهنة المستقبلية:

تعتبر البكالوريا وسيلة لمواصلة الدراسة من أجل الدخول إلى الحياة المهنية حسب المبحوثين فيُختتم بها المسار الدراسي الثانوي وتُمنح الفرصة لإتمام الدراسات العليا والدخول إلى الجامعة أين يتّم اختيار التخصص المراد الذي يرتبط بالمهنة المرغوب في امتهانها مستقبلا. فبدون الحصول على هذه الشهادة يكون المستقبل المهني والاجتماعي مُبهما، ومنه فإنّ امتحان البكالوريا يعتبر عقبة لا بدّ من اجتيازها للانتقال إلى مراحل أخرى، مما يجعل الحصول على الشهادة ضرورة. وهذا ما توضحه التصريحات التالية:

"البكالوريا مرحلة مهمة في الدراسة يجب اجتيازها، وهي المفتاح الذي يسمح لنا بالدراسة في الجامعة واختيار التخصص الذي نريد امتهانه مستقبلا، وعدم الحصول عليها يمنع تحقيق ذلك"(ش.ب، ذكر،19 سنة، سنة أولى علوم اجتماعية).

"الحصول على البكالوريا يسّهل التخطيط للمستقبل، فهي الشهادة التي تسمح بالدخول إلى الحياة المهنية برسم معالمها من خلال الدراسة في التخصص المرغوب المرتبط بالمهنة المستقبلية" (ر.ب، أنثى، 19 سنة، سنة أولى صيدلة).

بذلك تعتبر البكالوريا تأشيرة الولوج إلى الجامعة ومنه إلى الحياة المهنية، في هذا السياق أوجدت دراسة بن غبريط رمعون نورية أنّ 78 %من تلاميذ القسم النهائي يعتبرون الثانوية مرحلة في المسار الدراسي الهدف منها الوصول إلى الجامعة. (Benghabrit Remaoun, 1998, p. 50)

6-1-3- الحصول على قيمة ومكانة اجتماعية:

إنّ القيمة التي تحتلها شهادة البكالوريا في المجتمع كحدث مهم ضمن المسار الدراسي تجعل الحصول عليها أمرا مهما وضروريا، فهي دلالة على التأهيل وأنّ المتحصّل عليها اكتسب المعارف الضرورية للالتحاق بالدراسات العليا وبذلك يحظى بالتقدير والاعتراف من طرف المحيطين عرفانا بمجهوداته، وتماشيه مع معايير الجماعة، فيؤكد الانتماء إليها، وبالعكس فإنّ الرسوب في الامتحان هو بمثابة فشل وخيبة للفرد ولعائلته. وهذا ما أكّده صولو (Solaux.G) باعتباره للبكالوريا مرجعية اجتماعية يجب الامتثال لها لكي يكون الفرد مثل الآخرين ويؤكد أنّه ينتمي إليهم" (Solaux, 2001, p. 63). كما تعتبر البكالوريا موضوعا مهما للتباهي بين الأفراد فغالبا ما يتباهى أفراد العائلة خاصة الوالدين بحصول أبنائهم على شهادة البكالوريا وكذلك بالمعدل المتّحصل عليه. مثال ذلك المبحوثة (س.ب):

" بحصولي على الشهادة أصبحت أشعر بأنّني شخصية مهّمة لديها قيمة، أصبحت مفخرة العائلة وأصبح إخوتي يتباهون بمعدلي المتمثل في17,32 في الحديث مع أصدقائهم وكذلك والداي فكانوا يتباهون به أمام الأقارب والجيران والمعارف كما يتباهون بالتخصص الذي اخترته وأصبحوا ينادونني طبيبة المستقبل"(18 سنة. سنة أولى طب).

تعتبر البكالوريا إذن مرحلة انتقالية ينتقل من خلالها الفرد إلى مكانة جديدة في المجتمع. فالنجاح في البكالوريا يمنح فرصة الارتقاء إلى مكانة أعلى وتعتبر الشهادة المتحصل عليها بمثابة مفتاح النجاح والمستقبل، كما أنّ الحصول على تلك الشهادة يمنح الاعتراف والدخول إلى عالم الراشدين. وهذا ما أكّدته دراسة كاي (Kei.M) حول مكانة البكالوريا وتمثلاتها لدى الآباء وتلاميذ الثانويات في أبيجان(Abidjan) حيث أوجدت أنّها بالنسبة للتلاميذ مرادفة للنضج، الاستقلالية، والسماح بفتح العديد من الأبواب (Kei, 2014, p. 196).

2-6- إستراتيجيات تعزيز فرص النجاح في البكالوريا:

إنّ هدف النجاح في البكالوريا والاستراتيجيات المتّخذة في بلوغه لا تبدأ في السنة الثالثة ثانوي، حيث يبدأ الاستثمار من أجل النجاح منذ المراحل الدراسية السابقة ويتضّح ذلك من خلال اختيار الثانويات المناسبة التي تحمل سمعة جيدة فيما يخص نتائج البكالوريا ونوعية الدراسة، وكذا اختيار الأقسام والأساتذة وهذا ما يوضحه التصريح التالي:

" تنقلت للدراسة في ثانوية بعيدة عن المكان الذي نعيش فيه وذلك لأنّ الثانوية التي بقربنا فيها أساتذة رياضيات غير أكفاء، لذلك قرّر والداي في السنة ثانية ثانوي نقلي إلى ثانوية جيدة مديرها صارم وأساتذتها يُدّرسون جيدا، بالرغم من عناء التنقل"(م.س، ذكر، 18 سنة، سنة أولى هندسة مدنية)

بالإضافة إلى اختيار الشعب المناسبة التي يعتقدون أنّها تمنح لهم فرص أكثر للنجاح مقارنة بشعب أخرى، مثال ذلك التصريح التالي:

"كنت مترددة، اخترت شعبة الرياضيات وبعدها شعبة العلوم، غيرت الشعبة خمس مرّات وفكرت بأنّ اختياري لشعبة الرياضيات يتطلب منّي العمل في مادتي الرياضيات والفيزياء أمّا اختياري لشعبة العلوم يمنح لي فرصة التعويض بين ثلاثة مواد وبذلك اخترت شعبة العلوم" (أ.ز، أنثى، 17 سنة، سنة أولى جراحة الأسنان).

كما تعتبر دروس الدعم من بين الاستراتيجيات المتّبناة من أجل التحظير الجيد للامتحان وأصبحت من الضروريات في الوقت الراهن بغرض تعزيز فرص النجاح، والتوجه إلى دروس الدعم أصبح يأخذ شكلا آخر يتضح من خلال الاستراتيجيات التي يتخذونها في البحث عن أفضل الأساتذة ومدارس الدعم المدرسي التي تحظى بسمعة جيدة من خلال نتائج طلابها، كما نجد مضاعفة الدروس للمادة الواحدة من أجل مضاعفة الحظوظ، وذلك بالرغم من غلاء هذه الدروس، وبعد المدارس عن مكان إقامتهم، وهذا ما يشير إليه التصريح التالي:

" درست دروس خصوصية في مادة الرياضيات عند أستاذين لأنّ لكل منهم ميزات خاصة فالأستاذ (ح) سريع وطريقته تساعدني لأنّي سريعة الفهم ولا أحب من يكرر كثيرا، يكتب لنا التمرين في السبورة ولا يعطينا الحلول يتركنا نحن نبحث عن الحل وإذا لم نجد يقدم لنا عدّة حلول لكي نختار الطريقة التي تساعدنا، والأستاذ(م) يأتي لنا بمواضيع وتمارين من الخارج ويقدّم لنا حلول ويّعلمنا كيف نحّل , بدروس الدعم أتعلم كيف أقوم بحل التمارين وأتّحصل على عدّة حلول وطرق لكي لا أبقى تائهة، وهناك من أصدقائي من كان يدرسون الدعم عند ثلاثة أساتذة، أيضا درست دروسا خصوصية في الفيزياء لأنّي لم أكن أفهم"(د.م، أنثى، 18 سنة، سنة أولى صيدلة)

ومن الملاحظ أنّ التحظير للبكالوريا أصبح يعتمد بشكل كبير على شبكات التواصل الاجتماعي مثل اليوتيوب (Youtube) ، الفيسبوك (Facebook) ، المسنجر (Messenger) ، وغيرها من تقنيات الأنترنيت الحديثة التي احتلت مكانا مهّما لدى هؤلاء فهم يسايرون الحداثة وينغمسون في تكنولوجياتها. وهذا ما تبرزه التصريحات التالية:

" كنت أستخدم اليوتيوب في مراجعة الفيزياء، ذلك الفيديو يترسخ في ذهني وأحفظه، كذلك أستاذ دروس الدعم كان يقوم بنشر تمارين الرياضيات في صفحته عبر الفيسبوك كنت أستفيد منهم كثيرا" (ع.س، ذكر ،19 سنة، سنة أولى هندسة مدنية).

"استخدمنا شبكات التواصل الاجتماعي (Réseaux sociaux) في الدراسة المسنجر (Messenger) حيث كان لدينا مجموعة تضم التلاميذ الذين يدرسون معي، نتحدث عن الدراسة، نتناقش ونحل المواضيع السابقة، والذي يتعسر عليه حل تمرين أو لديه تمرين جديد ينشره في المجموعة فنقوم بحله والذي لا يستطيع ينتظر الإجابة لكي يستفيد منها وأيضا أستاذ الفلسفة كان لديه صفحة عبر الفيسبوك ينشر فيها المواضيع وكذلك الحلول" (أ. ز، أنثى 18 سنة، سنة أولى علوم اجتماعية).

تختلف الطرق التي يتبناها المترشحون في المراجعة حسب خصائصهم الفردية ومميزات الوسط الذي يعيشون فيه وحسب تفضيلاتهم فمنهم من يفضل المراجعة ليلا ومنهم من يُفضل المراجعة باكرا، كما أنّ هناك من يفضل المراجعة وحده ويوجد من يُفضل المراجعة مع المجموعة. تتضافر الاستراتيجيات من أجل بلوغ هدف واحد وهو النجاح في امتحان البكالوريا، وهذا يبيّن الأهمية التي يكتسيها هذا الامتحان في معاش المترشحون حيث يضاعفون المجهودات خاصة مع اقتراب موعد الامتحان، وهذا ما يؤكد ما توصلت إليه دراسة بن غبريط رمعون نورية في أنّ 72% من تلاميذ الأقسام النهائية يغيّرون نمط معاشهم خلال فترة تحظيرهم لامتحان البكالوريا باختلاف شعبهم والثانويات التي ينتمون إليها وذلك من خلال الانضباط في المراجعة وزيارة المكتبات، والتقليل من النزهات (Benghabrit Remaoun, 1998, p. 46).

3-6- أشكال التضامن العائلي في التحضير لامتحان البكالوريا:

البكالوريا ليست حدثا فرديا، بل تعتبر حدثا جماعيا تعيشه العائلة بمجملها. فنجد دعم العائلة المادي والمعنوي موجود طيلة فترة التحضير للامتحان. ومهما اختلف المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للعائلة فإنّها تؤثر وتتأثر بهذا الحدث بأشكال مختلفة. إنّ الحصول على الشهادة يُعد مكسبا للعائلة وفخرا لها، فينغمس كل أفراد العائلة بدرجات متفاوتة خاصة الوالدين وبالأخص الأم في غالب الحالات في معاش التلميذ الذي سوف يجتاز امتحان البكالوريا، ويشاركونه في التخطيط لجدوله الزمني وطريقته في المراجعة. في هذا السياق يؤكد مصطفى حداب أنّ "سلوكات التلاميذ وإستراتيجياتهم اتجاه البكالوريا تختلف اختلافا كبيرا حسب المجموعات الاجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء، كما أنّ عائلات المترشحين للبكالوريا حسب مكانتها وظروفها الاجتماعية تؤثر مباشرة أو بصفة غير مباشرة وبأشكال متفاوتة على العقلية وطرق العمل وأساليب التعلم وحتى الاحتيالات وغيرها من الأمور التي يتهيأ بها تلاميذ المرحلة الثانوية لامتحان البكالوريا " (حداب، 1998، ص.06)

مثال ذلك أحد المبحوثين (أ.ر) الذي ينتمي إلى أسرة من الطبقة الشعبية (أب عون إداري في البلدية وأم ماكثة في المنزل)، تحصل على الدعم المعنوي وكذا المادي من أجل النجاح والحصول على معدل جيد في الامتحان يمكّنه من دراسة الطب لكي يصبح طبيبا ويكون مفخرة العائلة ويحقق رغبة والديه حيث يُصرح:

" أبواي دعماني بكل شيء طيلة فترة دراستي خاصة في الثانوية وبالخصوص في السنة الثالثة...أمي أدرس يا إبني... ماذا تحتاج يا إبني وأبي يحاول بقدر المستطاع مساعدتي وبالرغم من الظروف المادية المحدودة فإنّه يخصص لي ميزانية

من أجل دروس الدعم لكي أكون مثل أصدقائي بالرغم من أنّ ثمنها باهض خاصة في مادتين 6000دج شهريا كثيرة مقارنة بدخله المحدود لكّنه دائما كان يقول لي أوفر لك كل ما تحتاجه المهم تنجح بمعدل جيد حتى ولو أبقى بالجوع..." (أ.ر، ذكر، 17 سنة، سنة أولى طب)

ومن جهة أخرى نجد مثال المبحوثة (ن.ب) التي تنتمي إلى أسرة من الطبقة الميسورة (أم أستاذة جامعية وأب مقاول) والتي تحصلت هي الأخرى على الدعم من والديها والذين قدّموا لها كل ما يمكن تقديمه من أموالهم ووقتهم وجهدهم حيث تصّرح:

"وقف والديا إلى جانبي بكثرة خلال دراستي وخاصة فترة البكالوريا، كانا يشعران بالقلق أكثر منّي، وأهدرا الكثير من الوقت من أجلي وتعبا حيث كان والدي يضحي بأوقات راحته من أجل أخذي إلى دروس الدعم وإرجاعي منها فكان ينهض باكرا يوم الجمعة وكذلك السبت بالرغم من أنّه يفضل النوم، أمي أيضا كانت تحاول توفير الجو الملائم لدراستي وتقضي وقتها في البحث عن أفضل الأساتذة وأحسن الدوريات"(ن.ب، أنثى 18 سنة، سنة أولى هندسة معمارية).

كما تتغير إيقاعات العائلة في سنة التحضير للبكالوريا حيث تقوم أغلب الأسر بإلغاء الزيارات والرحلات وحتى العزومات من أجل ضمان الاستقرار والجو الملائم للمراجعة لأبنائهم خاصة مع اقتراب موعد الامتحان. كما يتغير الجدول الزمني والإيقاعات اليومية للأسرة لتتلاءم مع إيقاعات أبنائهم الذين سيجتازون الامتحان.

" تغير كل شيء لا مجال للقيام بالرحلات أو النزهات في تلك السنة، كما أصبحت أمي ترفض دعوات خالاتي وجدتي وتستبعد أيضا دعوتهم من أجل عدم إزعاجي أو تغيير وتيرة المراجعة، الصالون أصبح غرفتي للمراجعة ولا يسمح ترتيبه أو الدخول إليه فكل ورقة أو كتاب مترسخ في ذهني مكانها" (ر.ق، أنثى، 18 سنة، سنة أولى علوم اجتماعية).

إنّ هذه التضحيات التي يقدمها الأولياء تعبر عن المكانة التي تحتلها البكالوريا في تمثلاتهم وعن رغبتهم في إنجاح أبنائهم باستخدام كل الإمكانيات الممكنة. فالشهادة تقدم فوائدا رمزية للأولياء وهي مثلما صرح مصطفى حداب " تمثل بالنسبة للشرائح الاجتماعية الأحسن تجهيزا بالرأسمال المادي والرأسمال الرمزي، وأيضا برأسمال من العلاقات الاجتماعية أداة ضرورية للمحافظة على المكانة والفوائد الاجتماعية التي حققها جيل الأولياء وأكثر من ذلك أداة للارتقاء إلى مستويات اجتماعية أكثر علوا". (حداب، 1998، ص. 05)

ما يميز هذا الحدث أيضا أجواء الالتحام العائلي يوم الإعلان عن نتائج البكالوريا والتي يسردها المبحوثين، فهناك من ينتظر النتائج مع العائلة الصغيرة، وهناك من ينتظرها رفقة العائلة الكبيرة والجيران والأصدقاء الذين يفضلون مشاركة التلميذ تلك اللحظة والتفاؤل بالنجاح، تترسخ كل تفاصيل ذلك اليوم وتلك الساعات في ذاكرة التلميذ طيلة حياته، وذلك يرجع لأهمية الحدث. يعقب النجاح الاحتفال الذي يُعبر عن قيمة هذا الحدث في السياق الفردي والجماعي حيث يرتبط ببعد ثقافي واجتماعي ويعتبر مرحلة مهمة لترسيخ قيمته ومكانته. حيث تمثل هذه الاحتفالات تأسيسا رمزيا للمكانة الجديدة ضمن البنية الاجتماعية فهي تدمج الناجح رمزيا في الجماعة وتعطي شرعية لسلوكاته وللمكانة التي احتلها.

3-6- التحظير للبكالوريا في ظل الثنائية الثقافية للمجتمع الجزائري:

بالرغم من مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري والتطورات الناتجة عن العولمة إلاّ أنّ المظاهر الثقافية والدينية لا تزال حاضرة في الممارسات الراهنة. ظلت بعض العادات والتقاليد متّرسخة لدى أفراد المجتمع ولا يزالون يحافظون عليها باعتبارها جزءا من عقيدتهم الدينية وكيانهم الثقافي. وبذلك فإنّ المجتمع الجزائري في الوقت الراهن هو مزيج بين الحديث والتقليدي، فنجد انغماس أفراده في التكنولوجيات الحديثة من جهة وعدم تخّليهم عن العادات والتقاليد من جهة أخرى وهو ما أسماه جمال غريد بـ"الازدواجية الثقافية" (Dualité culturelle) للمجتمع الجزائري (Guerid, 2007, p. 28).

معاش المترشحون يتماشى مع الحداثة والعولمة، حيث يعتمد المترشحون على التكنولوجيات الحديثة ويتبنون ممارسات جديدة ، نشير من ضمن السلوكيات الحديثة التي اجتاحت المجتمع الجزائري وأصبح تلاميذ البكالوريا في الجزائر يمارسونها إلى "الاحتفال بـ 100 يوم قبل البكالوريا" وهو عبارة عن تقليد غربي ظهر في السنوات الأخيرة في البلدان المغاربية، وأصبح يحتفل به تلاميذ القسم النهائي حيث يرتدون بدلات كلاسيكية والتي توحي بقيمة وهيئة طالب مستقبلي ويذهبون للثانوية صباحا من أجل أخذ صور تذكارية مع بعضهم، وبعدها يتّجهون إلى الاحتفال في المطاعم أو قاعات الحفلات. إنّ هذا التقليد الجديد أصبح يستقطب عدد كبير من التلاميذ، والذي يعتبرونه فرصة للترويح عن أنفسهم من ضغط السنة الدراسية. وهذا ما يصّرح به أحد المبحوثين:

" إنّه يوم مهم حيث نلبس بدلات كلاسيكية أو نصف كلاسيكية، نلتقي صباحا في الثانوية لكننا لا ندرس بل نأخذ صورا تذكارية، ونذهب بعدها إلى أحسن المطاعم لتناول وجبة الغذاء، والتي يتبعها حفل يدوم طيلة اليوم، فنقوم بالرقص، والغناء والمزح من أجل التخفيف من القلق والترويح عن أنفسنا قبل بدء المراجعة الجدّية المرتبطة باقتراب موعد الامتحان" (ف.ز، ذكر، 19 سنة، سنة أولى هندسة معمارية).

مع ذلك نجد أنّهم لا يتخلون عما هو تقليدي، حيث يؤمن هؤلاء المبحوثين بالعين والحسد ويرتبطون بالممارسات التقليدية للمجتمع الجزائري القائمة على العادات والتقاليد والدين الإسلامي. تصرح المبحوثة (د.ل):

" لم أكن أصّرح بالنقاط والمعدلات التي كنت أحصل عليها فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال اقضوا حوائجكم في الستر فإنّ كل ذي نعمة محسود. أصبحت أكذب عندما يسألونني عن المعدل الذي ممكن أحصل عليه أقول لهم ثلاثة عشر. أخاف من العين كثيرا وأؤمن بها كثيرا فعندما حصلت على شهادة التعليم المتوسط بمعدل جيد ولا زلت أتذكر يوم الإعلان عن النتائج الكل مذهول من النتيجة حتى انكسرت الكؤوس في يدي ومرضت بعدها كثيرا حيث أصبت بمرض في أذناي وأصب بضغط العيون والتهاب في الفم إلى درجة لم أعد أستطيع الكلام، حتى أصبحت أتمنى لو لم أحصل على ذلك المعدل" (17 سنة، سنة أولى طب).

يمكننا القول أنّ المعتقدات والممارسات الدينية والثقافية المرتبطة بالعادات والتقاليد والتي يلجأ إليها التلاميذ المقبلين على اجتياز البكالوريا وعائلاتهم تمثل إستراتيجيات للتكيف مع هذا الحدث المقلق والتي توفر لهم الإحساس بالأمان من خلال التقرب من ما هو مقدس، كما تعزز الاندماج في الجماعة. تعبر خطابات وسلوكات المبحوثين عن ذلك والذي يظهر من خلال تزايد وتيرة العبادات مع اقتراب موعد الامتحان فهناك منهم من فضلوا المراجعة في المسجد بصفته مكانا مباركا ولاستغلال أوقات الراحة في قراءة القرآن ونيل بركة أئمة المسجد.

"اتفقنا أنا وأصدقائي على المراجعة في المسجد فهناك كنّا نجد الهدوء، وعند وقت الراحة نستغله في أداء النوافل وقراءة القرآن إنّ القرآن راحة وطمأنينة وهو شفاء من كل داء" (س.ج، ذكر، 18 سنة، سنة أولى علوم اجتماعية).

لجأ بعض المبحوثين مع اقتراب موعد الامتحان إلى بعض التصرفات التقليدية من أجل الحصول على العون الإلهي من ذلك الرقية الشرعية من أجل التخلص من العين والحسد والقلق وذلك بالذهاب عند الرقاة أو بالاستماع إلى الرقية المسجلة. وهناك من قاموا بشراء كتيبات خاصة بالأدعية لترديدها أيام الامتحانات، كما لجأ البعض إلى تناول الأعشاب والأدوية المقوية للذاكرة، والمساعدة على السهر والتخلص من التعب.

كذلك يوم الامتحان لم يخلو من الممارسات التقليدية فبالإضافة إلى تجهيز المأكولات المفضلة للمبحوثين تحرص معظم العائلات على ضرورة شرب ماء زمزم والذي يكون في الغالب مرقى كما يتمّ تقديم أطعمة حلوة مثل السكر والتمر والزبيب

والشكولاطة تيمنا بالنجاح وعلى اعتبارها تُنشط الذكاء ويصرح المبحوثين أنّ أولياءهم يقولون لهم أنّها عادات متوارثة عبر الأجيال، وأيضا هناك من قاموا برمي الماء وراءهم وهي نية متوارثة بغرض التسهيل " لكي تكون الأسئلة سهلة"، في حين نجد من الأولياء من قدّموا الحلبة لأبنائهم بغرض التخلص من الخوف والقلق والخلعة. تشير التصريحات التالية إلى بعض ممارسات المبحوثين:

تصرح المبحوثة (ل.ف) "قبل كل امتحان أقرأ سورة ياسين، فهي تنشط عشرون خلية في الدماغ، كذلك أكثر من قراءة الأدعية لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول لنا أدعوني أستجب لكم" (أنثى، 18 سنة، سنة أولى هندسة مدنية).

تصرح (هـ.د) " أمي طلبت منّي ارتداء الخمار الذي ذهبت به للعمرة وغسلته بماء زمزم، وأبي عندما يكون لدينا شيء مهم دائما يوصلنا هو ويشد رأسي بيديه ويقرأ آيات من القرآن، ويروي لنا أنّ جدي كان يقوم بها وهو يقوم بها لنا ويطلب منّا أن نفعلها مع أولادنا هذه الأمور بالنسبة لي لا تزيد ولا تنقص أمّا أنا أؤمن بالقدر والمكتوب وأنّ القرآن يمنح الثقة في النفس وعندا أقبل على اجتياز امتحان أقرأ سورة الكرسي ليس من أجل طلب النجاح وإنّما عامل تركيز" (أنثى، 17 سنة، سنة أولى صيدلة).

إنّ هذه الازدواجية في تصرفات هؤلاء ما بين الحداثة وإغراءاتها والتقاليد القديمة وأصالتها ترتبط ببنية المجتمع الثنائية والتي تصبغ هويتهم وسلوكاتهم. وتبرز حالة التعارض التي يعيشونها والقلل والشعور بالذنب الذي يسببه التماشي اللامحدود مع الممارسات العصرية فنجد الأفراد يقاومون التغيير بواسطة الدين والطقوس والذي يعتقد نور الدين طوالبي أنها تشكل "دفاع دينامي دائم موجه ضد كل تغيير يسيء لتكامل الأنا " (طوالبي، 1988، ص. 283) فالرجوع إلى الممارسات المرتبطة بالدين والتقاليد يقلل ذلك الشعور بالذنب وقلق التمزق الثقافي ويمنح الفرد التوازن النفسي والانسجام الاجتماعي.

4-6- البكالوريا باعتبارها طقس من طقوس العبورفي المجتمع الجزائري:

يتضّح مما سبق أنّ البكالوريا تمثل شكلا من أشكال طقوس المرور (Rite de passage) يسّجل هذا الطقس نهاية مرحلة وبداية المرحلة التي تليها. يرجع مفهوم "طقس المرور" إلى الإثنولوجي أغنولد فان قنيب (Arnold van Gennep) من خلال كتابه الذي ظهر سنة (1909) (Goguel d'allondans, 2002, p. 74)

يقوم طقس العبور على بنية ثلاثية حسب أغنولد فان قنيب(Arnold van Gennep) ، وبذلك لا تكفي الدلالة الرمزية والاجتماعية لهذا الحدث لاعتباره طقس عبور، وهذا ما أكّده خادر لو (Khadre Lo, 2000) وإنّما يجب أن تتجسد المراحل الثلاثة لطقس العبور وهي الفصل (séparation)، الهامش (Marge)، التجميع (Agrégation):

- مقطع الفصل (Séparation): تتميز هذه المرحلة بالانفصال عن المكانة السابقة في المجتمع. وهذا ما يتوافق مع الانفصال عن الحياة المدرسية والثانوية، فالسنة الثالثة ثانوي أو ما يطلق عليها بالقسم النهائي هي الفاصل بين ما قضاه التلميذ من سنوات في التعليم وانتقاله إلى مراحل عليا من التعليم. وما يُعزز أهمية هذه السنة هو سلوكات وخطابات مختلف الفاعلين من أساتذة، مدراء، أعوان التربية، والأولياء والتي تساهم في التحظير للانفصال.
- مقطع الهامش (Marge): هو عبارة عن مرحلة في الوسط، يكون فيها الفرد على الهامش، ولا يملك أي مكانة اجتماعية فهو ممتحن للبكالوريا حيث لم يعد تلميذا وليس طالب في الجامعة إذ أنّه بين المكانتين، وتتمركز هذه المرحلة بين فترة اجتياز الامتحانات إلى إعلان النتائج.
- مقطع التجميع (Agrégation): هي مرحلة الانضمام إلى الوضع الجديد، وفي هذه المرحلة يندمج في المرحلة الجديدة. وهي الانضمام إلى الجامعة وكل ما يرتبط بها من إجراءات إدارية، ورمزية ترّسم الانتقال إلى المكانة الجديدة.

7- خاتمة:

تحتل البكالوريا مكانة مهمة في المجتمع الجزائري وذلك لما تحمله من دلالات ثقافية واجتماعية ونفسية، تعكسها القيمة التي يوليها الأفراد لهذه الشهادة من خلال ما يرتبط بها من تحضيرات وممارسات. إذ أنّ البكالوريا ليست حدثا دراسيا فقط بل هي أيضا تعتبر حدثا اجتماعيا وثقافيا لا يخص الفرد بحد ذاته فقط وإنّما مختلف الفاعلين من ذلك التربويون والعائلة والمحيطين.

كما تعتبر البكالوريا من أهّم الامتحانات التي يمر بها الفرد في مساره الدراسي باعتبارها امتحانا مصيريا يتوقف عليه مستقبله الدراسي والمهني ما يجعلها أمرا ضروريا ضمن مساره الدراسي. والشهادة المحّصل عليها تمثل وسيلة للارتقاء الاجتماعي والحصول على مكانة واعتراف في المجتمع فهي تُعبر عن النضج والكبر ما يجعل البكالوريا شكلا من أشكال طقوس المرور.

ومختلف الاستراتيجيات التي يتّخذها التلاميذ وأوليائهم تهدف إلى تحقيق النجاح من خلال الاستثمار ماديا ومعنويا من أجل تعزيز فرص الحصول على الشهادة وبذلك تحقيق مكاسب نفسية واجتماعية. فالتضحيات التي يقدمونها تشير إلى الأهمية الاجتماعية للشهادة ضمن السياق الثقافي الذي يعيشون فيه.

وأخيرا نشير إلى إنّ الأبحاث المستقبلية حول البكالوريا ينبغي أن لا تأخذ الفرد وحده ضمن سياقه السيكولوجي وإنّما ضمن السياق الثقافي والاجتماعي كما يجب أن لا تغفل عن مختلف الفاعلين في هذا الحدث.

- قائمة المراجع:

المنجد في اللغة العربية المعاصرة. (2001). 2. بيروت: دار المشرق.

دليل النصوص التشريعية التنظيمية الخاصة بقطاع التربية الوطنية. (1964). تاريخ الاسترداد 21 03, 2021، من وزارة التربية الوطنية: https://www.education.gov.dz/wp-content/textes-legislatifs/1963.htm

مصطفى حداب. (1998). مكانة البكالوريا في عملية الحراك الاجتماعي. إنسانيات،(06)، الصفحات 05-13.

نور الدين طوالبي. (1988). الدين والطقوس والتغيرات. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

Benghabrit Remaoun, N. (1998). Rapports à l'institution scolaire chez les lycéens de terminale,Insaniyat, (06), pp. 39-52.

Danvers, F. (2009). S'orienter dans la vie , une valeur supréme?: Dictionnaire de sciences humaines. Villeneuve d'Ascq : Presses Univ Sptention.

Goguel d'allondans, T. (2002). Rites de passage, Rites d'initiation: Lecture d'Arnold Van Gennep. Québec: Presses Université Laval.

Guerid, D. (2007). L'exception Algerienne: La modernisation à l'épreuve de la société . Alger: Casbah édition.

Kadri, A. (2018). Le systéme d'enseignement algérien: entre passé et présent. CIRIC Working paper, (11), pp. 04-42.

Kei, M. (2014). Statut et représentations sociales du baccalauréat chez les parents et les éleves des établissements secondaires du district d'Abidjan. Revue universitaire des sciences de l'éducation, (01), pp. 185-199.

Khadre Lo, A. (2000). Le Baccalauréat: un rite de passage dans une société moderne occidentale comme la France? Thése de maitrise de sociologie. Université de Caen Basse Normandie. Récupéré sur : https://www.memoireonline.com/08/08/1512/le-baccalaureat-un-rite-de-passage-dans-une-societe-moderne.html#:~:text=Les%20examens%20qui%20marquent%20la,'un%20cycle%20d'%C3%A9tude.&text=Baccalaur%C3%A9at%2C%20le%20M%C3%A9moire%20(de%20ma%C3%AEtrise,par%20exe

Mialaret, G. (1979). Vocabulaire de l'éducation. Paris: Puf.

ONS. (2011). ONS, rétrospective statestique – Education 1962-2011. Consulté le 02 15, 2021, sur : https://www.ons.dz/IMG/pdf/CH6-EDUCATION_.pdf

Solaux, G. (2001). Le Bac. Paris: Le cavalier bleu éditions.